الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

السنة الثالثة تاريخ

محاضرات مقياس: مصادر تاريخ الجزائر

الباب الثاني:

مصادر تاريخ الجزائر خلال الفترة الاستعمارية 1830-1962م

أستاذ المقياس:

د/ راجعي عبد العزيز

السنة الجامعية: 2024/2023

المحاضرة رقم 02:

المخطوطات خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962م

مقدمة:

لقد كانت الجزائر تتوفر على مخطوطات كثيرة قبل الاحتلال الفرنسي لها، كما رأينا في الباب الأول من مصادر تاريخ الجزائر خلال فترة التواجد العثماني، منتشرة في مكتباتها العامة وفي المساجد والزوايا وكذا في المكتبات الخاصة المنتشرة في مختلف ربوع الوطن لدى العائلات المتعلمة وبعض الأعيان وهي تعد بالآلاف، غير أن الوضع تغير مع بداية الاحتلال والتساؤل المطروح: كيف تعاملت سلطات الاحتلال الفرنسي مع المخطوطات والكتب والوثائق؟

1. السياسة الفرنسية وازدواجية التعامل مع المخطوطات الجزائرية:

وهذه الازدواجية نلاحظها من خلال طبيعة تعامل السلطات الفرنسية مع المخطوطات والذي جاء عبر وجهين، ولكن وجهين لعملة واحدة.

أ- الوجه الأول:

تعد المخطوطات وغيرها من الكتب والوثائق أولى الضحايا للاحتلال الفرنسي، نتيجة الحرب المدمرة التي تلت نجاح الحملة العسكرية الفرنسية وتصاعد وتيرة المقاومة الشعبية، ناهيك عن عمليات الاتلاف سواء المقصودة أو غير المقصودة جراء الفوضى والهروب والاخفاء وغيرها، ظف إلى ذلك الحرائق والتآكل هذا من جهة، من جهة ثانية توجد أسباب أخرى غير معروفة حسب أبو القاسم سعد الله، تتمثل في سرقة الكتب المخطوطة والوثائق العائلية من قبل الفرنسيين بالاعتداء الصارخ أحيانا والتحايل أحيانا أخرى، التي كانت محبوسة لخدمة العلم والثقافة معا. فقد اختفت مكتبات الجامع الكبير بمدينة الجزائر، ومكتبات قسنطينة وتلمسان ومازونة ومعسكر، التي أشاد بها المؤرخون والرحالة. يحدث هذا عندما أصبح كل شيء متاح فعله من طرف جنود الاحتلال وبأمر من قادتهم، فعبثوا ونهبوا كل شيء وجدوه أمامهم، فأتلفوا أهم المصادر التاريخية التي اعتقدوا أنها مصاحف، وباعوا واهدي بعضها ونقل بعضها إلى فرنسا. أما في قسنطينة فقد استولى "بير بروجر" (**berbrugger**) محافظ مكتبة الجزائر على أزيد من 700 مخطوط تم نقلها إلى العاصمة، كما استولى كذلك على مكتبة "الأمير عبد القادر" أثناء حملة "كلوزيل" على معسكر سنة 1835م و"ابن الفكون" و"باشتارزي" وغيرها من المكتبات الخاصة، أين وصلت أيادي النهب إلى الزوايا المنتشرة في أنحاء الوطن على غرار زاوية الونشريس والبابور، كذلك المخطوطات التي نقلها المهاجرون الجزائريون معهم إلى المشرق والمغرب خوفا من وقوعها بيد الاحتلال وجنوده.

ونتيجة لكل هذا فقدت الجزائر جزءا هاما من مصادر تدوين التاريخ بعدما ظلت ولمدة طويلة تعبر عن الموروث الثقافي الضخم يضم مختلف الأبحاث في مختلف المجالات كالآداب، وعلوم الدين والفنون والفقه، والمنطق والنحو...الخ.

أما فيما يخص ما تبقى من المخطوطات فقد حضي بنوع من الاهتمام من طرف الباحثين والضباط المثقفين الفرنسيين وكذا من هواة جمع لمخطوطات، وهذا هو الوجه الثاني لتعامل السلطات الفرنسية مع المخطوطات الجزائرية، لكن ما حقيقة هذا الاهتمام؟

ب- الوجه الثاني:

يرجع الاهتمام بالمخطوطات العربية الجزائرية بداية الاحتلال من طرف بعض المستشرقين والضباط المثقفين وهواة جمع المخطوطات بالاتصال بالمساجد والزوايا، والكتاتيب القرآنية كما أشرنا سابقا، فجمعوا ما تحتفظ به من مخطوطات، بغية نشر العلم وتلقين المعارف، وتعد هذه المحاولات بداية لنشأة المكتبة الوطنية الجزائرية. غير أن سياق هذا الاهتمام بطبيعة الحال لا يدخل ضمن أغراض خدمة الثقافة العربية الإسلامية بقدر ما يخدم مصالح الإدارة الفرنسية والتبشيرية، على غرار إنشاء المدارس الفرنسية لتعليم اللغة الفرنسية للأهالي كبديل للمؤسسات والمراكز التي تدرس اللغة العربية والعلوم الشرعية.

بدأت العملية بجمع المخطوطات من مناطق مختلفة في الجزائر، ثم فرزها واداعها في المكتبات التي أنشأها الفرنسيون، إلا أن البعض من هذه المخطوطات النفيسة تم نقلها إلى المكتبات الفرنسية في باريس وغيرها من المدن الفرنسية، وكذلك إلى بعض مكتبات الذين قاموا بجمعها.

لم يقتصر عمل المستشرقون على جمع المخطوطات فقط، بل قاموا بدراستها وإعداد فهارس وقوائم لها، وهذا الأمر لم يكن مألوفا في المراكز العلمية كالمساجد والزوايا والخزانات والكتاتيب ورباطات التي كانت تحويها. وفيما يلي بعض الأبحاث والفهارس التي أنجزها المستشرقون:

1. فهرس مكتبة الجزائر:

إعتمد "بير بروجي" (**BERBRUGGER**)[1] بالوثيقة التاريخية اعتمادا على ما تم جمعه عقب الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر التي رافقها شرقا وغربا وزار مختلف مدن الجزائر وتفقد مساجدها وزواياها وكتاتيبها وخاصة مدينة قسنطينة، التي رافق فيها قائد الحملة الجنرال "دامريمون" (**DAMRIMON**) عليها سنة 1837م وجمع منها ما يقارب 791 مخطوط، وخلال الفترة ما بين سنة

1- معلومات أكثر عن هذه الشخصية. ينظر: المحاضرة الأخيرة.

1844م سنة 1851م أعد لهذه المخطوطات فهرسا وتم نقلها إلى مدينة الجزائر واعتمد في ترتيبه تاريخ دخول المخطوطات إلى المكتبة الوطنية الجزائرية بالعاصمة.

2. فهرس المختصر لمخطوطات المكتبات الفرنسية (الجزء 18: المخطوطات العربية في الجزائر):

نظرا لشغف "بير بروجي" بعلم المخطوطات فإنه قام سنة 1879م بمراجعة فهرس الذي أعدته الآنسة "دوفوكوني" (**DE FAUCONNET**)، كما أعاد النظر فيما كتبه سابقا، حيث ألف فهرسا جديدا سماه (الفهرس المختصر لمخطوطات المكتبات الفرنسية)، خصص الجزء 18 منه للمخطوطات العربية في الجزائر، طبع هذا الفهرس في باريس سنة 1893م تحت إشراف وزارة التعليم والفنون الجميلة.

3. فهرس البارون "دوسلان" (BARON DE SLANE**):**

قدم هذا الأخير إلى الجزائر في إطار مهمة علمية، زار قسنطينة وتعرف على مخطوطات مكتبة "سيدي حمودة"، هذا الاخير الذي ينتمي إلى عائلة العلامة "إبن الفكون" أحد أقطاب العلم بالشرق الجزائري، حيث قام بدراستها ووضع لها تقريرا في 16 صفحة وأرسله إلى وزارته سنة 1845م، وطبع من طرف "بول دي بون".

عاد "دوسلان" إلى باريس سنة 1858م، حيث عمل على إثراء ما كتبه سابقا، فأفاد بذلك الذين بعده في موضوع المخطوطات الجزائرية، وقد أشار إلى ذلك "فانيان" في مقدمة فهرسه إلى أن المخطوطات التي تحمل الأرقام (من 990 إلى 1041) هي من وضع "دوسلان".

4. فهرس الآنسة دو فوكوني:

أشار فانيان إلى أن الآنسة "دوفوكوني" قد جمعت قائمة تضم 700 مجلد من المخطوطات، وذلك فيما بين 1874- 1875م، وأفاد مما جمعته في إنجاز فهرسه.

5. المخطوطات العربية عند باشاغا الجلفة:

قام به رونيه باسيه (**RENé BASSET**)، ونشر في الجزائر سنة 1884م غير انه مفقود.

6. المخطوطات العربية في مكتبة زوايا (عين ماضي، وتماسين (ورقلة)، وعجاجة بورجلة):

وضع من طرف رونيه باسيه (**René BASSET**)، نشر الفهرس في الجزائر سنة 1885م، وسوف يأتي وصفه لاحقا.

7. بيبليوغرافيا ميزاب (المستشرق البولوني موتيلانسكي Motylnski**):**

باحث ومترجم، نشر دراسته في المجلة الافريقية، المجلد 03، سنة 1885م، ص ص72-75.

8. المخطوطات العربية بزاوية الهامل:

وضع من طرف رونيه باسيه (**René BASSET**)، نشر في دورية إيطالية سنة 1897/1896م، العدد 10، ص ص43-97.

9. الفهرس العام لمخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية:

أنجز من طرف "إدمون فانيان"، طبع بباريس سنة 1893م، وهو أرقى الفهارس التي أنجزها المستشرقون.

10. المخطوطات العربية الموجودة في مدرسة تلمسان:

أنجز من طرف "أوجست كور" (**AUGUSTE COUR**)، طبع سنة 1907م.

11. المكتبات الصحراوية:

أنجز من طرف "ماسنيون.ل"، نشر سنة 1909م.

12. محاولة بيبليوغرافية للإباضية الوهابية:

أنجز من طرف "سمو جروزفسكي"، نشر 1928م.

13. المكتبات والمخطوطات الإباضية:

أنجز من طرف شاخت (**J.SCHACHT**)، نشر في المجلة الافريقية، العدد 100، ص ص 375-398، سنة 1956م.

14. المخطوطات الإباضية:

أنجز من طرف "فون هاس"، نشر سنة 1974م.

هذه الدراسات كلها كتبت باللغة الجنبية، ويمكن أن نضيف لها فهرسا كتب باللغة الفرنسية وهو للعلامة الجزائري "محمد بن أبي شنب".

15. فهرس الكتب المخطوطة المحفوظة في خزانة الجامع الأعظم بالجزائر:

أنجز من طرف العلامة "محمد بن أبي شنب"، طبع سنة 1909م.

المصادر والمراجع

- أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر: عادل نـــويهض، مؤسسة نويهض للنشر، بيروت، ط:3، 1983م.

- الأعلام – قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العـــرب والمســـتعربين والمستشرقين: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط:7، 1986م.

- البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية: الشيخ فرحـــات الجعبيـــري، جمعيـــة التراث، القرارة، الجزائر، 1408هـــ- 1987م.

- تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشـــر الهجـــري (16-20 م): د.أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيـــع، الجزائـــر، 1401هـــ-1981م.

- تاريخ الجزائر الثقافي- تسعة أجزاء-: د.أبو القاسم ســـعد الله، دار الغـــرب الإسلامي، بيروت، ط:1، 1998م.

- تاريخ الخزائن الخاصة في أولف« مذكرة التخرج لنيل شهادة الليســـانس »: الحمدي أحمد، معهد الحضارة الإسلامية، وهران، الجزائر، 1994م.

- التجارب العربية في فهرسة المخطوطات: تنسيق وتحرير: فيصل الحفيـــان، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، 1998م.

- تعريف الخلف برجال السلف: أبو القاسم محمد الحفناوي بـــن أبـــي القاســـم الديسي بن سيدي ابراهيم الغول، تح: محمد أبو الأجفان، وعثمان بطيخ، مؤسســـة الرسالة، بيروت ط: 1، 1982م

- تقرير حول المخطوطات الجزائرية: مختار حساني. أوراق في مكتب مـــدير معهد علم المكتبات، جامعة قسنطينة، الجزائر.

- تقرير حول المخطوطات في الجزائر: د. عبد الكريم عوفي، بحث ألقي فـــي الاجتماع الثاني للهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي في القـــاهرة، يـــومي 18-1996/12/19م. (مخطوط على الحاسوب).

- تقرير عن المخطوطات في الجزائر وأماكن تواجدها: نوار جدواني، مجلـــة

المورد، العدد: 5، العدد: 1، وزارة الإعلام العراقية، بغداد، 1396هـ-1976م.

- فهرس مخطوطات مكتبة «إروان » دار التلاميذ بالعطف: جمعية التراث بالقرارة، غرداية، الجزائر، 1416هـ-1996م.

- فهرس مخطوطات مكتبة آل يدّر، جمعية التراث بالقرارة، غرداية، الجزائر، 1994م.

- فهرس مخطوطات مكتبة الشيخ البكري، جمعية التراث بالقرارة، غرداية، الجزائر، 1994م.

- فهرس مخطوطات مكتبة الشيخ التهامي صحراوي ببانتة (الأوراس): عبد الكريم عوفي، مجلة المورد، المجلد: 18، العدد: 3، وزارة الشؤون الثقافية، بغداد، 1410هـ-1989م.

- فهرس مخطوطات مكتبة الشيخ عمي سعيد: جمعية التراث بالقرارة، غرداية، الجزائر، 1994م.

- فهرس مخطوطات المكتبة القاسمية: محمد فؤاد الخليل القاسمي الحسني، دار الغرب الإسلامي، ط:1، 1427هـ/ 2006م.

- فهرس مخطوطات نظارة الشؤون الدينية ببانتة: د. عبد الكريم عوفي، مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، المجلد: 39، الجزء: 1، القاهرة، 1416هـ-1996م.

- فهرس موضوعي لمخطوطات المركز الثقافي الإسلامي بقسنطينة، (مذكرة ليسانس في علم المكتبات): براهمية عمار، كساسرة محي الدين، معهد علم المكتبات، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1990م.

- فهرس موضوعي لمخطوطات مكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، (مذكرة ليسانس في علم المكتبات): مزلاح رشيد، وكريم مراد، معهد علم المكتبات، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1989م.

- فهرس موضوعي لمخطوطات مكتبة القطب ببني يزجن(مذكرة ليسانس في علم المكتبات): عاشور يحي، معهد علم المكتبات، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1987م.